أتيت ... لأبكي معك

- غالبا انه هو هذه المرة

قالها اسعد السعيد وهو يسير بسيارته ببطء شديد في ذلك الطريق الطويل الذي يسير فيه كل شخص يريد أن يصل إلى المدافن الخاصة بمدينته، كان أسعد السعيد يبحث عن شخص بعينه داخل هذه المدافن

مع الأسف لم يكن يعرف عنه سوى اسمه الاول ، كما أنه لم يره الا مرة واحدة وللحظات قصيرة، وذلك عندما قالت الممرضة في ذلك الوقت الذي كان فيه مرتعب على ابنه الذي كان بين الحياة والموت ... وينتظر طبيب لا يعلم أين هو ... ليستمع بالك الممرضة بصوت عال

- د سليم وصل

اسمه سليم إذاً، لكنه لم يعرف إسم عائلته، حتى بعد أن جاء وعمل اللازم لابنه لم يعرف سوى أن اسمه سليم

ليس هناك أصعب من تطبيق الوصية:
فرحا مع الفرحين وبكاءا مع الباكين

هي وصية تحمل من البذل الكثير.
فكيف تبكي بصدق مع قلب فرح ..
وكيف تفرح بصدق مع قلب حزين؟

المجاملات سهلة ولكن أن تؤدي هذا بصدق فهذا هو التحدي الأصعب

###

ظل أسعد السعيد يبحث في ممرات المدافن الضيقة بعد ان حفر هيئته في ذهنه.

كان يذكر أن سليم طويلا يصل إلى المترين ربما، ورفيع جدا ... وأصلع تماما، من السهل العثور على شخص بهذه المواصفات ..

علاوة على أنه كان يدفن ابنه الذي أصيب في حادث ... أثناء بحثه مرتان يجد أناس يدفنون احدهم ... مرة كانت الميتة سيدة عجوز، ومرة اخرى كانت لرجل احترق داخل بيته

يسير بسيارته في إصرار، ها هي مجموعة أخرى من المعزين، بالتاكيد سيكون المدعو سليم في هذه المجموعة

اقترب من المجموعة وهو يمعن النظر في هؤلاء الحزانى، ولكن رن جرس الهاتف يقطع تركيزه، فامتعض قليلا، كانت زوجته اليزابيث، لم يستطع تجاهلها فربما لديها الجديد حول ابنه، ففتح التليفون و انصت .

- لقد خرج ابننا يا أسعد من غرفة العمليات، لقد أتم المساعد عمله على أكمل وجه، ابننا سيعيش

تنفس أسعد السعيد الصعداء وهمس

- الحمد لله

استمرت اليز ابيث في الكلام

- لست أدري كيف استطعت أن تغادرو ابننا في هذه الحال لتجري وراء الطبيب لمجرد أنه تاخر ... الممرضة قالت ان لديه ظروفه وينبغي ان تعذره

أراد أن يغلق التليفون لكي يركز في عملية البحث ولكنها استمرت

- الطبيب لم يقصر معه، وتركه مع طبيب كفء، عد ولا تصنع مشاكل مع ذلك الطبيب

اغلق أسعد السعيد التليفون بعصبية ... لقد وجده

لم يكن بذلك الطول الذي بدى عليه في المرة الاولى، ربما لانه استقبله وهو كان جالس ، بينما الطبيب مقبل عليه وينظر اليه من اعلى.. لكنه بالتاكيد هو

لقد انتهوا من دفن الطفل ووقف يسلم على المعزين ويستمع في صبر إلى تعزياتهم المؤلمة ...

نزل أسعد السعيد بهدوء من السيارة ،، و اتجه اليه، مد الرجل يده فسلم عليه أسعد السعيد وقال

- د سليم؟
- اجل
- انا أسعد السعيد ... كان ابني هو من عملت له العملية منذ ساعتين، وتركته دون أن تكمل اجراءات العملية

مسح الطبيب عينيه بهدوء .

- لقد تركته وكل شيء على ما يرام . هل حدث جديد...؟

- كلا يا سيدي ... كل شيء على ما يرام

- اذا ما المشكلة؟
- لا مشكلة يا سيدي ... ولكنك تركت ابنك ومصابك لكي تمارس عملك وتساعدني لكي أفرح بنجاة ابني . و انت لا تعرفني.. وقد وجدت أنه من اللائق أن آتي بدوري إليك تاركا ابني مثلما تركت انت ابنك .

نظر الطبيب له وعلامة الاستفهام على وجهه، فاكمل أسعد السعيد

- لقد اتيت لابكي معك

وتعانق الرجلان وراحا في بكاء عميق

بقلم: عماد حنا